قصص

على سرير الحياة

يسقط الموت

رولا حسينات

نوع العمل: مجموعة قصصية

اسم العمل: على سرير الحياة يسقط الموت

اسم المؤلف: رولا حسينات

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى أكتوبر 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوى: رولا حسينات

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة للنشر الإليكترونى من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://herufmansoura2011.wix.com/ebook

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالى:

http://facebook.com/herufmansoura

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم و مقترحاتكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني ولا تتحمل أي مسئولية تجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

مجموعة قصصية

على سرير الحياة يسقط الموت

رولا حسينات

الفهرس

الصفيح المحترق 6

البيت الرملي 18

المهاجر 24

منعرجات النسيان 36

مدينة الأشباه 42

على سرير الحياة يسقط الموت 49

على طريق الرمال الذهبية 55

فوضى الحواس 59

الصفيح المحترق

لملم أشلاءها الممزقة وطار بقدميه لا يثنيه وقع القنابل ولا القصف، وأيٌّ مما يحيطه من بقايا أناس قريته، اصطكاك قدميه والدم المنشخب منهما، والمترهل من بدنه قد تعرى مما تمزق من قميصه المائل للصفرة، ولكنه قد مال لحمرة قانية...

صوتها يصيخ في أذنه:" كامل الشيخ عبد السلام رزق بولد ليلة أمس حين غاب الديك عن الصياح، كان وليمة حساء لزوجته نصرية.."

أومأ برأسه وقد فهم، لما فاتته صلاة الفجر؟؟ فقد أولم الشيخ عليه حساء لزوجته النفساء، ولكنه لم يولم اليوم؟؟ قطعت حبل أفكاره وهي تحمل حقيبته، وشفتاها المكتنزتين ما زالتا تتحركان بصفوف الكلام:" لقد شحذت لك السكين، قول الله على رزقك ورزق العيال.."

نظر على احتراز حوله، دار صامتا في نفسه:" العيال كم تحبين ترديد هذي الكلمة يا زريفة؟"

تمتم في نفسه وهي تلهو بجديلتها وتلملم شعراتها الشقراء عن جلبابه الأزرق الذي يغطي ثوبه البني يرتديه في الشتاء، وفي الصيف يعدل عنه لقميص مائل للصفرة..

" وهو الذي تمزق من ثقل جسدك، زريفة تحبين الزلابية الممتلئة بالقطر وتتوهمين أنه الوحام لقد تورد وجهك زريفة، صرت يا امرأة أحلى وأجمل، ما أحلاها يدك الزبدة عندما تدفعين بها جسدي، فتظل تعمل فيه دوائر من الذبذبات.."

ولكن الحي معتم هذا الصباح وبيت الشيخ عبد السلام بلا أفراح ولا زغاريد، أتراها حلمت بمنام زريفة وروته له حقيقة، ولكن الوجوه عابسة تطل إليه تتمايزه وهو يحمل حقيبته، وفيها عدة الرزق: الموس والقطن والمطهر والشاش..، ولكن العيون الحانقة تشكه في الأرض كدبوس وما يرمقه من تحت أكوام اللحم المتهدل على الجفن، تنخزه نظرات الشيخ فتحي..

"عجبا ما لي لا أكاد أفهمهم اليوم نهاري عدم، دون صلاة الفجر، ولا عجب أن زريفة شكت من شخيري.. يقيم الميت من بعد الممات.." تمتم حين تعلقت قدمه بالخف البلاستيكي الأزرق أول درجات الدار الخمس، كانوا جميعا مطأطئين الرؤوس، لا أحد يريد أن ينبس بحرف، سلم وإجابات متلعثمة ردت عليه بفتور هنا، واكتفت بالإنصات هناك..

غفت الشمس في مكانها فلم تبارحه طيلة ساعات من بعيد صحوتها..

"اليوم غريب.." همس وهو يلوح بيده كمروحة ليزيح الثقل عن صدره، أصوات النسوة شق جدار الصمت صياح وعويل، وأرجع الرجال أصداءها وأخذت تتقلب أكفهم ذات اليمين وذات الشمال..تلهج ألسنتهم:" لا حول ولا قوة إلا بالله، لحقت بالولد.."

أدرك كامل المطهر أن الولد قد مات فجرا، ولحقته أمه بعد ساعات حين أكتفت الشمس بوشاحها الأسود، وبينهما أولم على الديك، وما استيقظ لصلاة الفجر.."

ومن بعيد دوى انفجار كبير رج الدار وتخلخلت عظامهم من مفاصلها، والدخان الأسود بدا يعتلي أسطح المنازل عند البيرة وهم في قريتهم دير نظام على بعد ساعتين من قلبها ومساكن الأتقياء والشيخ يوسف، بالسيارة المتهالكة التي يبقي أبو جابر يومه يحركها على المناويل، وفوق ذلك يكدس فيها الكتل البشرية فوق بعضها، مع أكوام البيض وأقفاص الدجاج البلدي، ولم يكن هناك ديوك غير ديك الشيخ عبد السلام الذي قد ذهب ضحية لوليمة بفرح مسروق، والمنسوجات تتطاير عند كل عثرة في الطريق الترابي،

وصياح الحاجة رملية خوفا على منسوجاتها يتراشق مع بعض التعنيف، كل منهم يريد أن يعرض ما لديه في السوق الكبير عند الجامع القديم وبير الماء، وفرصة للتبرك بقبور الأولياء الشيخ شيبان والشيخ يوسف، ولكن سالم دوما يجلس القرفصاء بمؤخرة السيارة الصالون مع أكوام الأقفاص، دوما متكتلا على جسده قابع في صمت دفين، النظرات تمزقه.." مال سالم والبيرة؟؟ أين يذهب ساعات يختفي عن أنظارهم وهم يحملون بضائعهم، كأنه فص ملح وذاب؟؟!"

ولكن زريفة دوما تقول عند سالم حكاية وحكاية كبيرة كثير، عندما ذهبت وكامل للتبرك عند الشيخ يوسف ولتشرب من ماء الحياة عند البير، وما تزال تذكره في كل حين وهي تحرك السكر في استكانة الشاي، قبل الخلود للنوم دوما تقول:" جدتي أم الحنايا، كانت داية والنسوان يشكون قلة الحمل والخلفة فتنصح بكوب الشاي الثقيل قبل النوم.."

لكن كامل لم يجد علاقة منطقية بين كوب الشاي الثقيل والخلفة، وزريفة تعشق العيال في باكورة كل صباح تفتح قن الدجاجات وتتفقد منهن من فقست بيضها ومن لم تفعل، فتهرع ببقايا كسر الخبز المبيت المشبع بالماء، تضعه أمامها لتطعم صيصانها..

زريفة لم تكمل الثامنة عشر وتزوجها كامل وهو في أواخر الثلاثين، فقد مات والديها في طريق العودة من تجارتهم بالدجاج على طريق البيرة، بتفجير قنابل نسفت الطريق ومن عليه قيل:" لم تكن هناك أشلاء لتجمع، فلم يدفن أحد حينها.."

كان ذلك قبل ثلاث سنين ولم يبقى لها غير محمود وهو في القدس، معلم شاب تخرج من الأزهر الشريف بعد أن درس في مدارس البيرة، محمود يحمل أفكارا عدائية للأنجليز وللصهاينة، وينادي بالجهاد يروي قصصا حدثت، لكن كامل كان منشغلا بتطهير الصبيان دقيق في عمله يكسبه المال صنعة ورثه عن أبيه، ولكن والد محمود ملك المال ليذهب به ولده إلى الأزهر، ويتعلم ليصبح معلما في القدس أو البيرة، قصصه عن عز الدين القسام أثارت حميته وكاد أن يحمل موسه ويقطع به الرؤوس، ويهوي مشرحا جسد العدو المستوطن أرضه، وتاه أياما وليال في المنام، وهو يشد على زريفة بقبضته وهي تصيح وهو في المنام يركض وزريفة تصيح وهو يلهث والعرق يتصفد على جبينه وكرشه يتصاعد ثم يكرع كسنسلة سقطت من دوي ما، وانتصر وما بيد زريفة غير أن تنشب أسنانها في يده ليخلي سبيلها، فقد تحطمت عظامها من الضرب والركل.. أخذ شخيره يتصاعد وهي تزيد بالعض حتى

استيقظ كامل من نومه العميق وبدا كالغارق في الماء، عيناه الدائرتين تقطران وحمرة تملؤهما، وشعره المتبقي الملتصق على صلعته قد انزلق على جبينه، نظر إليها وعلامات الغرابة قد صكت وجهه، وهي ما زالت منشبة أسنانها في يده، وقد تلاقت العينان، فانسحبت ولسان حاله ينبض بالشك حول رغبتها في إيذاءه وهي تتأوه من ضرباته الموجعة ومتيقنة أنه يؤذيها، وكيف لها أن ترزق بالولد وكامل يركلها؟؟ ولكنها اعتادت عليه وهو اعتاد على الحلم، فبات يمثل دور المنتصر منذ البداية، ومحمود يلصق أحلاما عن البطولة، وأن الإنجليز اندحروا بهمة الأبطال ولكن الصهاينة حلوا مكانهم..

فما تراه يفعل كامل؟؟!

فليس معه غير الموس وصنعته..

بات الوضع مقلقا والخوف يزعزع فيه كل قوته، هو يخاف من الموت ولكن زريفة تملئ عينيها بالحياة والموت معا، فهي تريد الولد فقط تكويرة صغير تكفيها، ثم تموت وما تفتأ تذكره أن يحسن طهوره وغسلها..

ولكن لماذا لا يند لها جفن عند ذكر الموت؟ لماذا هي أقوى منه؟؟

بات القصف أشد والناس بدؤوا ينفرون.. كل لوجهته والنساء يتصايحن وخرجن من بيت الشيخ عبد السلام، والطفل والزوجة يصيحان:" إكرام الميت دفته.."

لكنه أمام أن يموت إلى جنبهما متوكئ على أحزانه العرجاء، حلمه بالولد خمسة عشر عاما انقضت في ليلة، وما أطل الفجر إلا بعرس ميت، وقضت نصرية وانتهت المسرحية وما عاد غيره البطل، والقصف يشتد والسماء ملبدة بالغيم الأسود سراعا يمضي إلى أرضهم ينتشر وبندقيته في صدر المضافة، حيث يستعيد ذكريات بطولة آبيه وجده في دحر الإنجليز والكمائن لعصابات الهاغانا، ولكنه هو هنا وهي معلقة تناديه طيلة تلك السنين، ما عاد يربطه بالحياة شيء وكل ما عليها انتهى، وقلب أرضه ينزف وبندقيته معلقة، بدت الصورة أكثر وضوحا ومعالم الطريق قد برز على طولها الدخان المتصاعد، كغيمة عالقة بين السماء والأرض، رفع يديه ليلتقط البندقية فارتمت بين أحضانه، تشكو الفراق..

وطاف بعينيه مودعا الوليد ونصرية وخرج، وما أن خرج من الدار حتى فجرتها قنبلة هوت عليها دون سواها ..

تمتم بجلادة القتيل:" هاهو يا نصرية إكرام الميت.."

ولم يجد الشيخ عبد السلام نفسه وحيدا أمام الطريق المعبد بالدبابات، بل كانت كتفاه متلاصقة مع الكثير من رجالات قريتهم وحتى النساء خرجن، كل خرج من داره والقصف يشتد ودمدمة الساعة بدت أقرب وأقرب، وبدا الليل أقرب منه إلى النهار، فقد اشتعلت الشمس وغابت بلا عودة هذا الصباح، فهو ليس كغيره من الصباحات..

فلم تفطن زريفة أن تعطر ثوبه المائل للصفرة فهو سيعيد ارتداؤه فهي إطلالة شمس الصيف حين تخرج الحياة بكل دفئها إلى السطح، عندما عاد من كثرة القصف ليطمئن عليها كانت تجلجل بصوت متهدج وتروح جيئة وذهابا في أنحاء غرفتهم المغلقة، ضيقة الدار كما هي ضيقة عليه اليوم، وما أن أحست به..كان قد نزع رداؤه الثقيل وقد وقع بصره عليها على غير حالها قفزت من مكانها وهي تتأمله ملتصقا به جسده، أخذت تئن بصوتها المتهدج:" إنه وقت الفراق إنه وقت الفراق يا كامل، ولم يأت الولد بعد، وسأموت قبل أن تطهره.."

أصمته الموت، رائحته تفوح في المكان وهي تشعل ناره في صدره..:" سأخرج بسكين لأقتص لدم أبويَّ، هاهم قتلته جاؤوا إلى حتفهم.."

أخذت تهرول إلى النافذة الصغيرة المقوسة..:" هاهم هاهي دباباتهم تعوي كالذئاب تهوي لقصعتها.." وهي تلوح إليه ليأتي ويرى الصورة كاملة، ولكنه قد عرف ذلك قبل أن تتفوه به فهو يراهم أمامه كما في الحلم، كل تفاصيله أمامه، تعاد بنفس الترتيب، وهاهو يستل موسه من حقيبته ليؤوي لجدار سميك، ثم ينقض على الصهيوني ويقتلع عينيه، ثم يقطع شرايين الحياة وأوردتها، وهاهي تفر زريفة كما النسيم يقبله قبلة الوداع إلى الموت، حيث ستدافع عن كل ما فيها من حفنات للتراب، ولتمت بعد ذلك فلن تهوي لتغتصب هكذا أمام أعين الكون الأبكم، هي ستموت لتعيش أجيال بعدها ثم تموت ولتعش أخرى، وهو ينظر إليها هاربا من صمته وقلة حيلته، ليقف أمام الكون بصورة أكثر واقعية دون أن يبالغ في وضع المؤثرات..

هي كما هي بمؤثراتها وبموسيقاها الملهبة للحماس، حيث تهوى الرؤوس وتقتل الأنفس أمام المدافع والرشاشات، فلا يبين ضوء النهار..

وهاهو يركض رشيقا كما لو لم تكن تملئ حشاياه الشحوم، ما باله غير أن يعمل بموسه قتلا في الصفوف، هو يقاتل بموسه المدافع والوجوه الجزعة من وراء الصفيح المحترق، وهو العالق بين

أنفاس الموت والحياة، وكذا هم جميعا يتراكضون هنا وهناك بكل ما لديهم، ومن بين فسحة الدخان الأسود كان سالم من وراء الجدران يطلق القنابل..

سالم لديه قنابل وهي تهوي على الدبابة فتفجرها وتحرق قنابله الأرتال المتتابعة، وهاهم أهل قريته يضرمون النيران ببنادقهم، وبسكاكينهم يبقرون بطون أولئك الصهاينة، وهو يفعل فعلهم وصرخات زريفة تقتل هنا وتقتل بسكينها هناك، صيحاتها تشد من أزره والدخان يحرق أفئدتهم ويخنق أنفاسهم، لتدوي قنبلة المدفعية بين صفوفه، جعلتهم يتطايرون كالورق الهش إلى أشلاء مبعثرة، تلاصقت وأجساد الأحياء والجدران والصخر على جنبات الطريق الترابي، ورائحة الدم تزكم الأنوف المسكونة بوشاح السواد..

طفق يبحث كامل عن زريفة ولم تبين صيحاتها، وقلبه اهتز بين جدرانه وأخذ يقلب الأشلاء لم يدرك منهم شيئا، هذه يد الشيخ عبد السلام من الخاتم ذي الفص الزمردي وهذه قدم الحاجة رملية، فقدمها صغيرة وحذاؤها ذو وردة حمراء..

ولكن أين زريفة؟؟ هذا البطن الصغير المتكور يعرفه، بل قد إلفه إنه جزؤها العلوي، وقد تناثرت ساقاها إلى حيث أصبحت أوتادا لحرب أخرى..

هو لن يكتفي بالركض يحملها والحلم في أحشائها وشعرها الأشقر المغمس بالدم يتهدل على كتفه، ودماؤها تملئ ثوبه المائل للصفرة...

أخذ يصيخ السمع والبطن المتكورة ترتل..:" إلا تحزن أبي فادفني في رحم أمي الأرض..تلك أشهر معدودة ثم ستلدني حين المخاض والآلاف مثلي..."

رجوع للفهرس

البيت الرملي

إليك قاتلتي أُزجي بخلوصِ المتيّمِ

خنجرُك الرابضُ في عميقِ السّديمِ

أُقعيتُ فيه استغفرُ باسمكِ بالمدامِ

قطراتُ دمي النازفةُ وأهاتي والنديمِ

أنطقت قلمها ليفيض بأوجاعها الموصدة في خوالج الروح، حين رأتُ في محياه لهيبَ الحب من نوع آخر، من صور أخرى من صور الجمال المبعثر على النواصي وعلى الرمال عند الشاطئ الأزرق، حيث لا أثواب ولا تجلة ولا قيود بل كل يتضور من بضع أستار شفيفة يصفدها على مكاره الجسد.

وأنت يا قلبي لاه هناك بلا فواتير تدفعها لنادل، ملاصقا لأبراج الحرية وأطياف الحسناوات، غشاوةٌ مبيضةٌ خطت دفاتري والأقلام..

تتندر ضاحكا تراك أأشرِّق وأُغرب فلا وابل ولا طل؟؟

تناكفني حين تبين بضع شعيرات، التصقت بحبات العرق المصفد على الجبين المغطس بالملح ومعشق بالكدح، حين بنينا معا بيتنا

الصغير من الرمال، وعشقّناه بالأصداف المختلسة الرواح من غياهب البحر ولججه، ليذيقها المد لذة العاشقين وصحبة في الخلاء، لتتعرى أمامه من حر الذهب، وتتموج تتراقص.. ملتهبة على أمواجه ويخونه الجزر، فيتأوه صارخا من جزعه يمد سبل الشقاء لعناق أبدي، لكنه القدر من تراهن على البعاد، وأنى من قرابين لشهوة أخرى فقد فات الأوان..

رهبتي فيك منك خفوقَ الغريقِ بلا غلواء خيفة الحتف، ألم نتعاهد على الموت متعريين من أصفاد الدنيا وما خطه البشر؟؟

أتماري الآن شهوتك في حين تآزرت فيّ في الركن القبلي لبيت الرمال خاصتنا، حينها غصت فيّ وما أدركت الصدود، وكيف أصدك وأنت حبيبي وأنا الغائمة في روحك؟؟

أؤنب نفسي لأني أشتهيك ؟؟

أأغتسل بماء الشعور لأتطهر من كينونتي كأنثى..؟؟

لما عليّ أن أقضي صلواتي وأنت على جنابة بقربي؟؟

ما أسجدت وجهك حمدا لله على فضي بشهوة ذاك النهار..؟؟

رمقتني بعد غياب وما اشتهيتني ثانية، لمّا كان بيننا كتاب وأرقام، طوحت حينها رأسك بالهواء وتثاءبت وكأنك ما نمت لدهور، أخدشت فيّ الحياء..وخليتني؟؟؟

بل ما ينفعني كرُّ الشهور وقد قطع حبل الوريد..واصبحت عاهرة أمامك، وأنت زوجي أمام الله، و مناصفة أمام الخلق.

أهويت كالخيل على كلاكلها بنهم حينها وخليتني حين شبعت..؟؟

وها أنا ضمخة اليوم بأوجاع وسهد، وتندح أوراقي على صفحة العمر سوداء بالية، سدفاتُ سماءكِ والرياحين أدلجت فيّ الهيام قوت السنين، وها أنا في دهاليز الظلام امرأة قد غدوت بلحظة طيش، قدتني إليها يا زوج المستقبل بصوتي الرخيم قلتها لك حينذاك، وبخنفرة من صوت نبع من داخلك أجش، لأول مرة اسمعه وبعينين زجاجيتين زأرت: المحيط الهادر هاهنا أبحري فيه.؟؟

وأين رخاوة الزمن والزرابي المبثوثة والنمارق المصفوفة؟؟

أما كانت تلك أركان بيتنا الرملي ..؟؟

أقعيت على جدار الزمن ارتجي السيارة، وأنَّى لي بهم.

وي كأني صريعة على جدار عفن، كالماء القراح أتبختر بجراحي المالحة، معذرة لإبطائي يا سيف الخلق لتعمل فيّ تفصيلا، فإني كالمأخوذة بصعقة تتأبى على النسيان.

ليته الحلم يا قلمي الذي خلاّ البيت الرملي قاعا صفصفا، يأخذ وإياه كابوسي!!

لأظل قديسة المعبد وقد تقدست نفسي عن الشهوات، طواعية انعتاقي للمحراب، لكن اصطكاك أسناني وضمر الوجنتين وقد غارت العينين في بحر الأبدية، من جعل مستقري مشكوكا في الأرض تدورني الأفلاك مكاني، أتأجج بقراحاتي وقد تألبت والمقاصل عليّ.

وخلتك يا دنيء وقد روغتني ويحي فيك مبكاي جروحا وانكساري..

أسعف فمي والروح فقتُيلكِ رهينُ الظُّلام!!

بل أسعفني ولا تذرني كؤودا أصارع التروس والخوذ!!

فكوة أبوابي والمزاليق بيدك، وقشة الحياة عالقة بين العار والقدسية..

ألا ترأف بحالي وقد طفحت عيني بدموع المحار؟؟

تتضاحك بل تشهق حتى بهذي تعيرني دموع التماسيح؟؟

أو بعد كل هذا وبيت الرمل تطويني كورقة وقد هويت كطائر مذبوح، أيقظني فأنا لا أعرف التحليق دونك، هكذا كنت ترتل على مسامعي وقد فتحت لي قلبك وأريتني النقش على بابه، لم أكن أعلم حينها أنك مزيف وذهبك رخيص، سأستعير دمائي لتغدو مدادا لتواتيني شجاعة المسير وحدي، وقد تغيرت بكليتي بعد حرية أوصدت يتيمتي بفجائع، وقد أوهمتني بالعاجل وقتلت ما قد تأجل..

ها أنا أراك وأنت عار تماما أمامهن أبله أخرق، بل نذل دنيء ليتني رأيتك يا خفقات مهجتي والمدلسات من قبل هكذا؟؟

وأنا أنحت حجر البيت الرملي وأنفخ فيه لأبتعث فيه الحياة..ونقشت على تاجه اسمك من دمي..سهوا سهوا صليتُ وصمتُ ووطئتُ بالحسام أحلام زاهية وعبثا لونتها.

وغدوتُ بلا بصيرةٍ أبوحُ بولهٍ للنجم، أراقصُ القلاصَ ربوعًا قتيلاً بالسهام، دُس عليّ فرق فيّ كُلي فأنا بك حطام يا قدري..

وها أنا اغتسل بالماء والثلج والبرد، أرجو رحمته وأخاف عذابه، إن عذاب ربك كان محذورا..

أوليس الله بكاف عبده..؟؟؟! رجوع للفهرس

المـهاجر

قصة " المـهاجر " للأديبة / رولا عبدالرؤوف حسينات/ الاردن

الفائزة بالمركز الأول في مسابقة المدونة " المستوي الأول "

رمى السيجارة من فمه وداسها بقدمه، وأمال قبعته مخفيا قسماته الكئيبة، ودس يديه في جيبيه.

انكمش جسدا ضئيلا من شدة البرد، حينها هاج موج البحر، وتلاطمت تتلقف السفينة جيئة وذهابا.

تنادت الأصوات:" هلموا ايها البحارة شدوا الأشرعة، عاصفة تقترب".

رمقه القبطان غاضبا وتعالت الشتائم:" ايها الغر هلم إلى حزم الأشرعة، ويلك من صعلوك جاحد.

ما همه كآبة السماء، فأين هي من ظلمة وجهه المليء بأشواك لحيته؟ التي نسي مذ متى كانت أخر مرة رأى فيها شفرة الحلاقة.

أخذ يمشي الهوينى هازئا بكل المخاطر فإن إلتقمه البحر ودفنه في غياهب ظلماته فأمره بالحياة والممات سيان.

سقطت منه كل مفردات التفاؤل.

أخذ يحزم الأشرعة مع الآخرين بحسرة يطوي دفاتر أيامه، ما رمته أمواج الدنيا إلا حاصلا على تفوق في الحساب، وما راودته

الوظيفة عن نفسه بل عشقت ثملي المادة وعشاق الزيف والخداع.

أخذت الأمطار تلفهم والبحر بغطاء من فيضان الأنفس، لتنضح بكل أسى فيهم.

تعلقوا بالصواري وكثير منهم غاص، ومن موج البحر هاجت الأرواح متضرعة بالوصول لبر الأمان.

وأي عذاب يأتيهم بعد هذا ليكشف سوءاتهم؟؟ تملقوا السماء بضراعة، حينها أغمض عينيه وتعلق بأخر أمل له في الدنيا، طريدة المعشوقة رباب.

أين عنترة منه؟ بل هل يجاريه مجنون ليلى؟؟ بل هو إبراهيم (مجنون رباب).

وما ارتمائهم جوف الموت إلا حسرات على من تلقفها زواج ضرع الغنى، فارة من قفير الفقر هازئة بكل تعاليم الحب التي حفظاها معا.

فماذا بعد؟ فقير يلفه جناح القتامة بكل خطى حياته.

فما يضنيه عن هجره مرفأ البلد؟.

صمم في نفسه حين التجأ إلى البحر بحارا، أن يسرد قصته عند خلجان الغربة، ما تعيقه الأسوار.

مضت ساعات طوال وهم في هيجان البحر الغاضب وسأم السماء، غمرتهم الأمواه بشراسة فما استطاعوا طلب النجاة.

و مد البحر بعد حين حملهم إلى صخور الشاطئ بلا أشرعة ولا صواري باسقات.

صحا على صوت النورس محلقا في السماء الزرقاء تيقظت حواسه، وهو يرمق بغشاوة العين خليج وبيوت قابعات، ما هذي البلاد بلاده؟؟

إنها حلم مستقبله، بالكاد أفلت قيده من الماضي التليد، محررا روحه من سقمه، ناظرا إلى الأمل يلوح في الأفق، أبحر بجسده في المياه الضحلة، غير آبه لرفاق السفر فما تعارفهم سوى أشهر قليلات.

وصل مبتغاه وهذا الأهم، حط براحلة قدميه القواعد الأسمنتية، ما درى أين يشير عقرب بوصلته؟؟

البرد قارص يجمد الأوصال المشرئبة بالمياه. بدأ المسير وبدأت الغيوم بالتكاثر ناشطات.

بحث في جيبه عن علبة السجائر وجدها غريقة بالمياه، ألقاها شاتما الحظ العاثر، وسوء الطالع يلاحقه حتى في غربة أسفاره.

ومن بين المحال المتناثرة الجأ نفسه إلى محل رمق فيه ما يسد جوع ليال.

قطعة من الحلوى بتسولها، فالجيب ينتفض من بور أرضه.

مشى متثاقلا، وقف أمام الزجاج، لم يطق رفع عينيه فقد أعجزه السؤال، حينها فتح الباب ورنت أجراسه، إذ بها تنتظره فكأنما تعد خطاه. استقبلته أما، وكأنما عرفها منذ سنين سيدة ما وجد السواد له محلا بين الخصيلات البيضاء.

ووجهها المستدير بعينين ضاحكتين، وكأنهما تحكيان قصص التائهين في الخلجان، بقصرها وسمنتها توصي بكرم الضيافة للمنسين.

ألجأته تائبا طالبا غفران المستعطفين.

أجلسته إلى كرسي خشبي وبابتسامة قدمت له فنجان الشوكولاته الساخنة، وقطعة الحلوى المنقشة بالسكر.

دعته برقة ووداعة تأخذ بما أفضى إليها من ذكريات، فقص عليها ما قد سلف من نكران الزمان.

تأوهت وأبكتها العين بحرقة، فقد تذكرت حبيبا سكنت روحه في جدران المكان، لكم تاقت الروح لحبيبها، هكذا وقعت عليه أول مرة عابرا الشطان.

فتاة شقراء أوقعها في شباكه الصياد وأدخله أبوها حماه فلاذ بقلبها من أول مرة وما لها من كرة.

فقد سلب المفتاح، وعاشا معا دهرا ذابا في حضن الكد ودفئهما حبا ذائبا بعرق الرزق.

أخذت تمر بأناملها على الزجاج تروي حكايا الحلوى الذائبة بالعسل والمحلاة بالحبة السوداء، وغيرها مما زاده لصنعتها في بحر الحلوى المغربية المنصهرة بالحلوى الإيطالية.

صمتت وهمست:" لقد دفن جسدا وروحه ذابت وجدران المكان، اشتم أنفاسه".

انهمرت دموعها انهارا وهي تبعثر بأناملها في أحد الأركان، أخرجتها من عتيق الذكريات علبة سجائر، ما كان غيرها يتمايل بين الشفاه.

أمسكها وكأنما امسك عشيقة تاه عنها بحرا من السنوات، غمزته وكأنها تقول:" نصيبك خبئ لك".

لقد أعجبها اسمه فقد كانت حالمة بين جنباته (إبراهيم رسول كريم).

وكأنها ما فوتت حرفا من الحروف، مسيحية تقبل أديان السماء، ما تميزها عن نساء المغرب بلكنتها ومزحاتها وبريح حلواها، وكأنما جبلت بذرة وساقيها في أرض الله.

صمتت ونبست وكأنما عجلت بذكرا خيفة النسيان.

ولجت إلى الحاسبة بكبر حجمها، وعزمت أمرها أن لك هاهنا طيب المقام، متدبرا صالح أمره وأمرهم.

تركته أمينا في المحل، ودخلت بابا موصدا أغلقت وراءها ريحا دافئة.

اذرف دمع العين:" وي كأنه وميض الأمل يسقط عند قدميه على استحياء".

ما أطالت مكوثه وذكرياته، جالبة ملابس دفيئة ستجمع صبر الأيام، انسل خلف الستارة يلقي غارق الثياب مرتديا ما يدفئ به البدن.

حط قبعته جانبا، فانزلق شعره ناعما يصل الكتفين، وارى الستارة جانبا، وما أن وقعت عيناها عليه حتى صفقت وحضنت كفيها:" آه ما أجملك، تنضح بالفتوة والشباب".

حينها رنت أجراس الباب، وفتاة شقراء تهدل شعرها الذهبي مثقلا بحبات المطر، ومسحت أنامل الريح على وجنتيها حمرة فأضحت حورية في سبيل الحوريات.

هللت السيدة العجوز بها، وبلغتها الإيطالية جمعت لها الحروف والكلمات مبعثرة، عرفتها بالشاب إبراهيم، وجم حينها وتاه في زرقة السماء، وسهما وقع في صدره قطع القلب أشلاء.

وتنادى اسمها (غريتا) نجوم الليل وضوء القمر.

واشتهاها حبيبة تشق بريحها همس الندى، لامست أناملها أنامله، تلاصقتا معا وكأنا قدر قدر حبا أبديا.

أين رباب من غريتا؟ أين الثرى من الثريا؟؟

ومرت الأيام تلعب أنامله على كبسات الحاسبة ضربا على مفاتيح البيانو.

وجلس يوما ظهره إلى باب الزجاج، عاملا أنامله راسما وجوها تقف تتلقف لهفة العشاق أمواج البحر.

أخذت أعينهم تناظره رساما قد أبدع، فجعلوه محجا لأوتار الرسم، وشاهدا على اليوم وتاريخه.

وعلى قماشة ألوانه تناثرت الروبيات تتلألأ صادحة في الصدى.

كل يوم حاله جامعا المال بمهنة وهواية.

ليحفل بغريتا عروسا في حجرة، سقفها الفضا وجدرانها همس الليل وقطرات الندى، يلتحفان السما ووسادتهما خيوط القمر نورا يلفهما نورا.

وفي يوم جاء يشق سكون الفجر، فرأى الباب موصدا وعلت الشمس على استحياء، أرسلت نورها فما نبس الباب بكلمة.

مرت ايام وجم القلب، وتاه في السبل حائرا. أتراه حبا طعن في السراب وتلاشى؟؟

حينها على الطرقات جلس، يتم حب العاشقين بلهفة قيد لا يمحى، وجعل ليله يعتل البضائع المتكدسة في الميناء.

هناك رمق أولئك من كانوا بحارة رفقاء ماجوا وموج البحر غرقى، يعتلون أكداسا تناثرت على الجنبين تنوء من أثقالها الأجساد.

وصف له الألم بردا في رئتيه، فسقمتا تتأوهان بالبلغم والصديد وليفا أياما، وتلاشى من السقم بين الأكداس مستنجدا، جلدا يتبدل جلدا.

وفي سقمه رسم رسمها من خلجات نفسها، تضلعت لوحة ولا أجمل (غريتا يا ضوء القمر).

حج إلى المحل فجرا، وضعها أمانة الباب الزجاجي الموصد، شاهدا على حب أذن له أن يتبعثر.

ومضى يشق سبيله في الدنا، مضى هو، واتت غريتا وأمها ايبتين من (ميلانو).

فقد طارت برقية إلى الأنامل، أخ سلبه الموت موضعا، ولو أنهن ظلمن أنفسهن بميعاد فما خسرن اللقيا.

لقد كانت ثروة طالتهما بعد دهور في الفقر قاصرات، وقفن ينظرن لهفة العاشق، تنبس بها كل ظلة في الوجه.

وناظرتها عين ثالثة معهما، يسرها القدر ناقد باحث في الأرجاء عن مبدع لقد صرخ:" إنها تحفة (الموليزا) تولد من جديد.

وتلقفها واضعا إياها في متحف الفن، ووزنت بقدر دافق من المال، عنون لإبراهيم.

طفقت تجد تجول في الطرقات، شكت لرمل الشاطئ وعشاق المكان، فوصفوه لها جالسا يرسم هاهنا.

فافترشت الأسوار، وقد تقاسمت:"أن بلهفتها تنجو من سخط عاشق، ودموع عينيها تشق الوجنتين".

بلهيب العشق مضت ساعات، وما أتى أزف الليل أن يستر ظلمة المكان ظلمة غيمه.

آذن لها هيجان البحر العودة، لفت نفسها بنفسها هائمة في الطرقات تتلاشى، ما أوقفها سوى صدى حسيس الخطى، تلفتت فما أخطأت رسم الخطى، عاشقا ثملا بالانكسار.

ارتمت عند قدميه باكية، تمطرها السماء تغسل ما يشوب النفس من الأوجاع.

تلقفها جاثمة يداعب خصلاتها الذهبية، مقبلا الجبين يلفها مندسين في حب فار فما اهتدى.

حينها آذن زواجهما إكليلا فكانت جائزته ثمنا لشرعية وجوده، بذرة لأبناء تجنسوا وتجانسوا في تراب الغربة أجسادا وأرواحا.

فتلك ترتيلة مهاجر رسمت له تقاسيم القدر أهلا ومستقبلا، ما كان ليكون له في ارض منبته حتى لو سقم.

رجوع للفهرس

منعرجات النسيان

تفل بصاقه في المغسلة الصدئة أمامه وقد التصقت به دماء سوداء، متقوسة أماله وقد هُزم سلطان النوم أمام طبول النهار، التي ما تلبث أن تنتزع منه أجمل أحلامه المسروقة، منكمشا على ذاته المطعونة بتشوهات مجتمع نتن.

تأمل وجهه المليء بأشواك ما وجدت الشفرة البادحة، طريقا لها بين ما شاك كغابة شعثاء، رماها بكل قوته فانكسرت على البلاطات المتلاصقة بقذارة صفراء، جعلت قطرات الماء تنزُّ من الصنبور، وقد أمال جسده فاتحا يديه لعله يملؤهما بما يشطف به وجهه المائل للسواد، ما استطاع أن يبيح لنفسه القليل بعد لعله يغير شيئا في تلك البقعة السوداء، التي التصقت بوجهه منذ سنوات خلت، يوم أخذت النيران تلتهم دكان أبي سعدون الاسكافي من ابريموس الشاي، وقد ذابت قداحته قريبا من المنضدة الخشبية والتي ارتكز عليها البابور، كل شيء كان عاديا قبلها وهو يركز عينيه على تلك الفتاة الملفوفة بالشال الأحمر تتمايل في الطريق أمامه المكتظ بالدكاكين، ما استطاع أن يميزها عن حبات المانجا بين يديه يرتبها في الصناديق المصطفة فوق بعضها البعض، و لم تكن كالتفاحة الحمراء في شكلها لكنها برائحتها ولونها تحكي الكثير عن كل فنون العشق، أخذت تتخاطر في باله تمر مرَّ السحاب.

الحب أتراه أم العشق ذلك الجمال كله يدبُّ على الرصيف الممتلئة زواياه بالكثير من بقع الماء؟؟ عائمة على الطريق تلتصق بأحذية المارة، تزدحم بهم الدكاكين على الجانبين والطريق الضيق يطوي بُعد المسافات لوحده، يعبث بنظراته جسدها الغض وطرفة عينها الكحيلة تذبحه بل أخذت تخزُّ بظرِّها في قلبه الوحيد.

أي قدر كتبه له هذا الجمال وتلك النظرة الذباحة، ليته تعلم نظم الشعر في المدرسة ومشط شعره بمشط ذهبي و غير حياته كلها، لكنه اتخذ من الدكان بين الصناديق المرصوصة بدلا مشكوكا كدبوس في الإسفلت، فعصا عمه أبي قعدة ما فتئت تدق رأسه كلما أطل بخياله عبر الطريق ليشتم ريح الفول والطعمية من دكان جابر الفوال وهباله الساخن يتراقص كأفاع تسرقها الأنوف العابرة، والتي تزدحم بها دكانه وتلك الأيدي تتدافع كلٌّ بقطعته النقدية لصحن فول وعليه رشة من الكمون وقطع البقدونس الخضراء ورشة الزيت الأصفر تلتمع على صفحته

البنية كدراهم ذهبية، وما طال بخياله ليزاحم الأجساد المتلاصقة والأنفاس المتداخلة فقط عيناه من توغلتا لتلمظ لقيمات من هناك، كان يكفيه برتقالة ناعسة، ما كان يكفيه سوى الصمت أن يصمت كل الوقت وهو يتعلم الحساب وأسعار الصناديق وطبشة الميزان،

لكنه ذاب بهذا الجمال الذي تهافتت روحه عليه مجرد أن داست بقدميها، وقد بانت سيقانها من الشرخ الطويل في فستانها المقلم الضيق، جعلت أحلامه اليتيمة على وسادته تتجمع أمامه كحورية عارية في الجنان وهو يسترها بجسده ليتذوق وإياها التفاحة، ويعرفا مفاتن الدنيا كلها ويعبرا المرج الذهبي ليتعمدا في ماء الرب في النهر المقدس، والريح تغني بقصيدة غزل تائهة مع خرير منساب إلى حيث يذوب سحرهما في بحر يلاصق بزرقته صفحة السماء، ليته همس الليالي الخوالي من ما يشفع له بحب عذري!

تلهبه رقتها بقبلة عابرة من عينيها، ثوان فقط تلك التي رمتها بين أحضانه كأبي زيد ينتزعها من لسعات اللهب وألسنة النار تقبض على ثوبها، أطفأها بجسده وتلك القطع الجلدية تتناثر وتلتصق بكل الدكان وتلك القطعة السوداء اتخذت من وجهه ملاذا أبديا لها، لتنغمس في لحمه وهي تذوب بين يديه جسدها مكور غض، يضغط عليه بين يديه، له وحده دون غيره يطفئه بنيران حبه، سيله العرم يغرقها مذ أن احتلم وهو يمج من القناديل المعلقة في حلكة الليل، ما لوحه به ضوء النهار.

واعتقها من النار وأباها مازال يضرب الكف بالكف والنيران تستعر بشهوانية تلتقف بدخانها الأسود كل ما تبقى، كل شيء أمام

النيران غدا ضعيفا، حتى تلك الأمواه التي تراقصت على استحياء ذوت، وقد أفضت الدكان خالية مما كان فيها، وهو ناره ما فتئت تستعر من لهيبها يقلبها كيفما يشاء وهي ملتصقة فيه، وكأنما تلاقيا من بعد فراق، وأودعها بين الصناديق في مخدعها يدخل عليها وقتما يشاء.

جعل يقلبها وهي تتوارى بالحجاب وقطع خلوتهما صوت أبيها يسوقه وجعه لوجع ابنته و قد لفتها النيران، سراب كل ما كان.." ليتني أفيق من كابوس." همس الكلمات انتشلها من بئره العميق، وحده يستشعر ألم ما التصق في وجهه بقعة أبدية وصمته كتميمة العمر المارق على عجالة، يستأنس بوميض اللحظات.

وها هو اليوم يقلب نظراته العاجزة في المرآة ما تفيده أن يتفل هنا وهناك وقد انتهى كل شيء لقد تاه حلم وسادته، ليغترف من حفنات النور المتساقطة على بصيص ذكرياته الصائمة، مغاريف من سوء على سوء عندما أغلق باب أبيها، حبيبته ونحيبها يخرق سكون الليل البارد ورفات عظامه تذروه الرياح، وتسقيه المزن لينبت كل كراهية لعذرية الزمن الذي أقضّ مضجعه، لقد فهم أخيرا مسألة المقامات، فهي تفسير لنظرات أبي جرجس الأرمني الأمرد وصفحة وجهه البيضاء قد غارت بهما عينان صغيرتان بتجويف زمني،

وحاجبين قد غطتهما عمامته البيضاء التي لا تفارق رأسه مذ عرفه، عندما جاء لأول مرة وفتح إلى جوار دكان الجزار سنقر محلا للعطور، والذباب يتراكم على تلك اللحوم العفنة التي يبيعها وتلك العطور التي تلهب حواس النساء فتراهن كالحجيج إلى دكانه، وعلى الضفة الأخرى أقمشة حريرية ذات ألوان زاهية، تزيد الجميلات حسنا وجمالا، ودكان ودكان سوق طويل كطول عمره عرفه مذ كان صغيرا يُضرب بالعصا، وهاهي تلك الحسناء توصد نافذتها، وقلبه الثائر في جوفه ينسجها فتلة فتلة ثائرا على وسادته الخالية في منعرجات النسيان بلا حب..

رجوع للفهرس

مدينة الأشباه

هَلْ كَانَتْ آخر أَنفاسَكَ مَا تَسَاقَطَتْ مدوية فِي نَفْسي المشرئبة بالأحزان ؟ لَكُمْ تُقْتُ لِنَطَّقَهَا أَمَامَكَ دُونَ أَنْ تُبَارِحنَّي تَفَاصِيلَ خَجَلَةٍ ، أَنَّي مَا زَالَتْ أَنَّثَاكَ الْحَبيسَةَ بَيْنَ ثَنايِاكَ الدافئة ؟ لَكِنْي الْآنَ قَدْ سَقَطَتْ ، نِعْمَ ، سَقَطَتْ مِنْ بَعْدَ أَنْ تَدَثَّرَتْ بِوِشَاحِكَ الأبيض وَتَكَفَّنَتْ بِالْمَوْتِ بَدَّلَا مِنْ عِشْقِي وَإِيَّاكِ .. لَمِا فَعَّلَتْ هَذَا أتراني قَصَّرَتْ فِي ثَلْمِ قُلَّبِ كَمَا جَعَلَ الْمَوْتَ غِلاَفَا لِقَلَّبَكَ ..؟ حينما كُتُبَ عَلَيَّ أَنْ أُودَعَكَ لَمْ أَجِدْكَ ، كَمَا أَنْتِ دافئ ، كُلَّ شَيْءَ فِيكِ بَارِدَ ..

رَحْمَةَ حَبِّنَا الْوَاسِعَةَ تَصَلَّبَتْ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ نجاةِ . أَطرافُكَ ، مِعْصَمَكَ الأبيض ، أرنبة أَنْفَكُّ الْوَرْدِيَّةَ بَدَتْ أَشَدَّ بَيَاضَا ، شَعْرُكَ المرتجفة أَوِصَالَهُ مُنَاجَاةَ لِلْرِيحِ ، جَمُدَ الْيَوْمِ ..

كَمَا أَرْدَتْ .. أَصْبَحَتْ صَلَّبَا قَوِيَا لَا يَهْتَزُّ لَكَ طِرْفَ بَلَّا حُمْرَةَ لأرنبتك .. وَلَوْ أَوَدَعَتَكَ خَاتِمَكَ ذِي الْجَوْهَرَةَ الْفَيْرُوزِيِة ، حِينَهَا تَتَوَقَّفُ سَاعَةُ الزَّمَنِ لِمُهَاتَرَاتِ الْمَارِقِينَ لِتُوصِدُ روحُكَ ..

لَقَدْ اِنْتَهَى كُلَّ شَيْءَ عَزِيزِي وَلَمْ تُخْبِرُنَّي عَنْ قرارِكَ لِنَاقَشْنَاهُ سَوِيَّةً ، بَلَّا شَحْنَاءَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ، أَعَدَّكَ رَنا الْحَمْقَاءِ لَنْ تَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ تَغَضُّبَكَ سأحتسي الْقِلْيل مِنْ الفودكا لِتُشْعِرُنَّي بالدفء لَكنْي سأبقى أتراقص

وإياك، حَتَّى الْفَجْرَ لِيَسْتَعِيدُ سَرَّاجُ الظُّلَمَةِ رَوْنَقَهُ مُنْسَابَا بَيْنَ يَدِيهَا أشرعة الشّمسِ الْمُجَنَّحَةَ..

لَا تَخِفُ سآوي لِمَخْدَعِكَ إلى جُنُونَ الْحَبِّ فِيكِ .. دَعَّنَا نَثْمِلُ ثَانِيَةً هاهي أرضية الصّمتَ تُنْذِرُ بِرَصيفِ آخر وَقَارِعَةَ عِنْدَ كُلَّ نَافِذَةً .. مِنْ سَنَةِ جَديدَةٍ ..

لَا تَعَشَّقِنَّي بَعْدَ الْيَوْمِ فَإنِي غَاضِبَة لَا لن تغَمْضَ عَيّنِيكَ عَنْي.. وَقُلَّ لِي الْحَقِيقَةَ حَقِيقَةً الْغَمَامَ الأسود الَّذِي تأرجح، عِنْدَ أول لِقَاءَ لَنَا عِنْدَ الطَّرِيقِ الْمُتَعَرِّجِ..

أتزعم أنْكِ لَمْ تُسْمِعُنَّي.. بَلَى لَقَدْ فَعَّلَتْ.. أنصت لِي قَلِيلَا أنصت كَمَا تُفَعِّلُ الْجَدَاوِلُ الْمَارِقَةُ فِي زَحْمَةِ الامواه الطَّلِيقَةَ وأن وَضعَتَ وِشَاحُكَ اللّازَوَرْدِي.. فَقَدْ أقسمت تَقاسيمَكَ الصَّامِتَةَ أَنْ تُذِيبَ كَتَّلَ الْجَلِيدُ عَنْ خَبَايَا قُنْبُلَةِ مَوْقُوتَةٍ، لَا تَرَأَّفَ بِحالِي فسأريحك مِنْ رُؤَيَتِي إلى الأبد كَمَا فَعَّلَتْ لَا تَأْخُذُ بِبالِكَ..

فإنما هُوَ الْكُحْلُ يُؤَرِّقُ عَيْنَي لِتُدْمِعُ سَائِلَا مَالَحَا يحرقني .. تَشَبُّهَ الرَّمادِ عَيْنَي لَكِنْي سَأُهْجِرُ الْكُحْلُ إلى الأبد..حبيبي..

فَلَا تُحْزِنُ سأراك يَوْمَا فَلَا تَتَبُّعَ عَزْمِكَ بامرأة أخرى فِي عليائك عِدَنِيَّ إلا تُفَعِّلُ ...

وَقَفَّلَتْ تَحَمُّلُهَا قَدَّمَاهَا الْمُنْهِكَتَيْنِ، بِقوافلِ مَالِحَةٍ تُؤَجّجُ جِرَاحَاتُ الرّوحِ مِنْهَا قبْلَ الْجَسَدَ، وَمَاذَا بَعْدَ؟؟

بَعْدَ أَنْ تَمُضّي كُلَّ هَذِهِ السِّنَّيْنِ لِوَحَدَهَا، سَتُغْنِي الْعَصَافِيرُ لَحَنَ الْعَامِّ الْجَديدِ بَعْدَ أيام مَعْدُودَةً بَلْ سَاعَاتِ مَقِيتَةٍ، مَمْلُوءَةً بِالْمَخَاوِفِ مِنْ تَقَيُّدِهَا بِتَهَكُّمِ إلى فاتورة جَديدَةٍ مِنْ التعاسة ..

لَمْلَمَتْ جَسَدُهَا الرَّقيقَ كُومَةَ مِنْ عِظَامِ مبلولة بِقِشْرَةٍ بَيْضاءَ كَمَّاءِ الثَّلْجِ .. فِي مَعْطَفِهَا الْبُنّيَّ الْمُوَشَّحَ بِنِقَاطِ سَوْداءِ دَائِرِيَّةٍ تَقَطُّعَ تَموُّجِهُ بِفَتْرَاتِ مُنْتَظِمَةٍ .. شِعْرَهَا الأشقر متهدل كأصابع حُوريَّةَ تُفِّكَ جَدِيلَتَهَا، تَحْتَ شُعاعِ الشَّمْسِ الذَّهَبِي لِتَغْتَسِلُ بِالنَّوَرِ..

كُلَّ مَا فِيهَا يُنْطِقُ بِالْجَزَعِ الْقَتِيلِ بنواصل الْفِرَاقَ.. أترد عَلَى أعقاب الزَّمَنِ لِتَمْضِي بِحُمُرَةٍ شفتيها الْمُكْتَنِزَتَيْنِ وَالْحُمُرَةِ الذائبة، بأصيص زُهورَ خُدّيهَا، كحلَ عَيّنِيهَا كَزُرَّقَةٍ الْبَحْرَ الْمَائِجَ؟؟؟ لِتَتَوَسَّطُ الطُّرُقَاتُ لِتَتَرَاقَصُ عَلَى أنغام مُوسِيقَى الْعَالِمِ، عَالَمَهَا هِي يَضِجُّ بِجَوْقَةٍ الْحَبّ الأبدي، كَمَا تِلْميذَةً بَيْنَ يَدِي الْقِدْرِ ..

لَامَسَتْ عَيَّنَاهَا أفق الْبَحْرَ الصَّامِتَ، رَاكِدَ كَمَا نَفْسُهَا بَلَّا زَوابِعَ تُنْهِضُ فِيه الْحَيَاةَ مِنْ مُهُدِهَا .. صفحته الْمُتَلاَزِمَةَ بِسِياجِ الْمُحِبَّةِ الْبَارِدِ مَعَ السَّمَاءِ الرَّمادِيَّةِ..

مُكْتَنِزَ أنت يا بَحْرَ بِقَوَارِبِ أناسك الْوُرْقِيَّةَ يَتَبَادَلُونَ وإياك صفحَاتِ مِنْ صُكُوكِ الْغُفْرَانِ..

اعجيز أنت أن تَغْفَرُ وَلَمْ لَا تَصَنُّعَ قَرَابِينِ الْمَعْرُوفِ، لِتَكِنُ إنسانا بَلَّا طَوَابِعَ بَرِيدِيَّةٍ ..؟؟

قَطْعَ خِلْوَتِهَا أنفاس كَمَا لَوْ عرفتَهَا مِنْ قَبْلَ، بَدَتْ أكثر حَمِيمِيَّةً، ذاته عَطِرَ ينشلخ لَهُ هيجانها رَغْبَةَ فِيه .. قَدْ رَاوَدَتْهَا نَفْسُهَا أن تَنَظُّرَ نَاحِيَتِهُ، لَكِنْه هَجِينَ تَفْكِيرِهَا الْغَضَّ تِمْثَالَ حَسْرَتِهَا تَنَطُّقَهُ لَحُمَا وَدَمًا، وَكَذَا الأنفاس تُنَفِّخُهَا فِيه لِتَمَهَّدَ لَهُ قدريَةً الْحَيَاةَ ..

مَا أجمل أَنْ تَنْبِضَ شراينك بِالْحَيَاةِ مِدَادَا كَمَا الْبَحْرَ ؟؟

ذاته النَّهِمَ لِلْحَيَاةِ فِيه.. عندما نَعَسَتْ أَوَّلَ نعسَاتِهَا مَعَه فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْوَارِفَةِ ظِلالَهَا بألسنة مِنْ شَظَايَا الإنسان الأول .. لَمْ أَكِنْ أَدَرَكَ كَمْ أَنْتِ بَعِيدَ يا بَحْرَ بِقِدْرِ مَا أَرَّاكَ الْيَوْمَ مِدَادَا مِدَادَا .. لِحَيَاةِ مُولَعَةٍ ببثور الْقَسْوَةَ .. ..همست، أَخَّذَتْ تَلَوُّحُ لِلْمَوْتِ بِضَجِيجِ هَمْسَاتِهَا لِقَوَانِينِ الْحِجارَةِ العالقة بأطر الْغَوْغَائِيَّةَ .. فِي فَضَاءَاتٍ مُظْلِمَةً .. احتسبت أنفاسه ذاتها، بِجَانِبِهَا تَتَلَصَّصُ عَلَى أَفَنَّانِ روحِهَا المعشقة بِمَاءِ الْبَحْرِ وَجُنُونَهُ .. تَنَهَّدَ وَقِعَتْ فِي شطآنها الْمَهْجُورَةَ .. رمقتَهُ وَوِشَاحَهَا الأحمر يَتَأَرْجَحُ وَخُصْلَاتِ شَعْرِهَا الْكَسْتَنَائِيَّةَ ..

خَرْتَ دُموعِهَا صَرِيعَةً .. لَقَدْ آن أوان جُنُونَهَا .. قَلَّبَتْ مَوَاعِينُ غَضَبِهَا وَرَتَّلَتْ خُطْوَاتُ ثابتةِ إِلَى الْهُرُوبِ، مِنْ الْبَعْثِ إِلَى أَحضانِ غِرَامِهُ الَّتِي لِلْتَوّ ودعتَهَا بَلْ أَوَدَعَتَهَا جُدْرَانَ صَامِتَةٍ بَلَّا مَارِقَيْنِ ..

أَخَّذَتْ تَتَدَافَعُ وَالرّيحَ الْخَرِيفِيَّةَ تَلَوُّنَ صُفْحَةٍ وَجِهَهَا الزَّجَّاجِيَّةَ، بِخَرِيفِيَّةٍ مُمْتَدَّةً إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ تَتَسَاقَطُ وأوراقه الْعَتِيقَةَ ... فَارِقَتَهَا قَدَّمَاهَا لِتَنَازَعَهَا لِتُمِدُّ شَظَايَاُهَا الْمُتَبَقِّيَةَ عَلَى ألواح الرَّصيفَ .. تَأَوَّهَتْ لِأَوَلهْيَةِ الْمَاءِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُنُونِ، شعرةَ طَوْلِهُ تَقاطِيعَ وَجْهِهَا كَتَّفَاهُ الْعَرِيضَيْنِ وَحِمَةً عَلَى خَدِّهُ الأيسر.... وَمَاذَا بَعْدَ لِلْتَوّ تَحْتَ الثَّرى تَأَرْجَحَ بَيْنَ يَدِي بَيْنَ يَدِي الْمَلاَئِكَةِ الْمُخْمَلِيَّةِ هُمْ منزلقا بِقُرُبِهَا لَكِنْهَا اِنْدَفَعَتْ حِينَهَا نَاحِيَةً الْبَحْرِ .... تَعَرَّتْ مِنْ صُنُوفِ صبئها لِتَسْتَشْعِرُ النَّسَمَاتُ تَدَاعُبَهَا بِسُخْطِ .. خُلْجَانَهَا الْمَقِيتَةَ..

رَفَعت يَديها للسماءِ لِتلتَقِطَ الموتَ جاثِيةً تحتَ مِظَلَةِ رَحمَتِهِ لن تستَجدِيَ عَفوَ الذكرَياتِ في مَدِينَتِها المَجنونَةِ، ولن تَمَلَ إملاءَ الأَوامِرِ مِن عَليائِها عَلى مساكينِ الحُبّ وعَبَدَةِ اللوعَةِ في اللقاءِ.

أسدَلت انعِكاسَ صورَتِها في الموجِ المُتهادي وَكأنَّها يُشبِعُها قُبُلاً قَبلَ العُبورِ في لُجَتِهِ ليَفُضَ بِوداعَتِهِ قُبُلَ الهيَجانِ..تَبعثَرَت خُصُلاتُها النُّحاسيَّةِ فَوقَ صَفحَةِ الماءِ مُوقِعةً آخِرَ رُتوشِها المجنونَةِ للأَبَدِيَّةِ..

أغمَضَت عينيها لُتُكَبِلَ تَحتَ صَفحَةِ الرَّحمَةِ بينَ يَديهِ.. أقحَمَها في عُبَابِهِ النَّديَ يَتَقَطَرُ عُذوبَةً يَتَراشَقُ وفُسحَةَ السّماءِ الذَهَبيّةِ.. دَسَّ الخاتَمَ في إصبَعِها وألثَمَها أنفَاسَهُ وخَرَّ الماءُ حينَها صَريعًا أمامَ رُجولَتِهِ..

حَمَلَها فارِسًا يَتَماشَى ومَمَرَ الحَياةِ والزَرِعِ الأَخضَرِ.. وأمواهٍ مِن طيبٍ أسدَلَت غَمامَةً مِن رِقَةٍ.. وَمَن أنتِ.. قال.. أنا غَيرُهُ، انظُري حَولَكِ.. إنَّكِ في مَدِينَةِ الأشباهِ..

رجوع للفهرس

على سرير الحياة يسقط الموت

اعتلت وجوههم غيمة من الصمت وقد تدلت الأنابيب المتعلقة بأنفاسها، النبض في نزره الأخير و رعشات القلب موج ساده الصمت، وهي ممدة على السرير الأبيض كتلة متفحمة لا يرجى لها من بعد الفناء البقاء، تمعنت في صمتهم الميت وغابت في حجرة قلبها المنكسر، شريط الواقع أيقظته بنداءاتها المعتقة بالآهات والصرخات، زفرات تُصَّعِدُ غضبها وقد تشابك وطيات نفسها ولفائف الأحزان..

أمعنت النظر في رمل الطريق والشمس الناعسة تلملم رداءها الأحمر والرضيع في المهد، أي من نسمات الليل ستغني له؟.

أصوات أعادتها للوراء:" لقد كبر بطنك يا بثينة، لا شك أنه موعد الولادة، الألم يزداد ، لا أستطيع التحمل يا صابر.."

"لكنك ستصبرين يا بثينة، لا تقلقي ستعودين للبيت والرضيع على صدرك."

الرضيع يبكي فرحا بتقديمه قربانا لأفواه البنادق والمسلحين..."الطفل يبكي كثيرا يا صابر."

تنفرج أسارير دموعها وهو يكاغي، وكأنما اتفقا على صيغة الحب الأول، صوت الجدة يقاطع لغة العيون:" تحضري لأسبوع الرضيع

يا بثينة، سنغسله ونعطره ونضع له الحزام وسنبخره، أعلم أنك تتوهمين أن البخور صحراء من المتفجرات، ولكنك ستقطعين الماء أيضا، لا تخش شيئا، فلدي سبحة الألف ألف حبة، سنصلي والنسوة على النبي، لا تقلقي يا صغيرة الجدة زريفة لديها سبحة طويلة فيها ألف ألف حبة، اهتمي فقط بصرر الحلوى تفرحين بها قلوب الصغار..."

بصخب ما بارحت مكانها وهي تفرك اليدين:" سيأتينا الكثير من الزوار يا صابر، ولم أتم إعداد أي شيء."

" لا تقلقي يا بثينة فقط اهتمي بنفسك والصغير.."

الليل يهبط سريعا وطوفان الموت يقترب من البيوت، وأصوات البنادق تعوي كذئاب الليل، والكل نائم يحلم بالشهادة، ولكن الرضيع مستيقظ يكاغي، لما لا يبكي؟؟ لما فجأة توقف عن البكاء؟ أيريد أن يلعب لعبة الغميضة مع المستوطنين؟ لا يريدهم أن يكتشفوا مهده بسرعة، ليمهلوه بعض الوقت ليشرب الحليب ويتعلق بيد أمه، ليعدّ ضربات قلبها وليضحك، ليحبو ويطلع السلالم ، ليشتري الحلوى من دكان أبي سالم عند المقبرة القديمة، ليذهب إلى الأقصى مع صابر ويسبح في سبحة الجدة زريفة، ذات الألف ألف حبة.

"أشم رائحة شواء بشري، يا ويلي..استيقظ يا صابر، إنها قرية الجدة زريفة إنها تحترق، لقد جفل الليل ونجومه قد أفلت وانبجس القمر شاحبا، أرسل نورا ضئيلا أكلته النيران المتصاعدة، أصوات النساء تتعالى فوق الشبح القادم ثم تخبو في نيمتها الأبدية، رصاصات المستوطنين تحملها الرياح ورائحة الشواء. قلبي يكاد يخرج من بين أضلعي، دعنا نذهب..، دعنا نخرج من الباب الخلفي إلى أقرب سيارة تقلنا والرضيع، ليعيش الرضيع بلا قيود ولا أسوار بعيدا عن رائحة الشواء."

امتقع وجهه حينها ونطق بغليل متأجج: "إنها أرضي يا بثينة وأرضك ألا تذكرين؟ ما لك تنسين؟ ألم نتعلم أن الأرض أغلى من الولد والنفس والروح؟ أم أن الرضيع أنساك إياها؟؟!"

ارتجفت...:"إني خائفة.."

"لا تخافي أم الرضيع، فإما النصر وإما الشهادة، رددي معي أغنية الوطن...

بلادي بلادي بلادي .....لك حبي وفؤادي..

أرضعيها للصغير وكاغيها له، علميه إيّاها بألف ألف لغة، فللوطن لغات عديدة يفهمها كل من دبت قدمه على الأرض.."

الليل يكاد يطوي أستاره ويكشف النهار عن خيوطه البيضاء، وأنفاسها المختنقة محمومة غدت وقطرات العرق تتصبب على الجبين..

لوحة القلب قد تغيرت ولفحة من الأمل تسللت بينهم، هاهي تتحرك تنتفض وهي تصرخ في أعماقها: "آه، لا، لا دعوه لي، إنه صغيري وليدي الوحيد، دعوه يحبو ويكاغي ويتعلم حروف الوطن، لينقش اسمه على صدره ترسا يتلقى فيه الرصاصات."

فزعة تجر رداء السرير الأبيض، صابر يلهث وراءها ورائحة الشواء وألسنة اللهب تتراقص في حجرة الوليد، تلتهمه في المهد وهو يكاغي، لم يتعلم كيف يجري، لم يتعلم أن ينطق الحروف، ولا نطق الله أكبر..

صرخت بأعلى صوتها المبحوح:" دعني لا تمسك بي، فألسنة اللهب تداعبني فليس الرضيع أشجع من أمه، ماذا سيقولون حين أبعث خلقا جديدا؟؟ رمت بابنها في اللهب ومضت إلى البرد والسلام..، صغيري لا تغادر وتتركني، دعني لتلتهمني النيران وإياه يا صابر، أتدرك أنك ستحترق معنا، سنحترق وليرقص المحتل على قبرنا، على درج بيتنا، في غرفتنا هذه وعلى رمادنا في البيارات،

فما لنا من آلهة وما لنا من معابد وليس لنا آلهة دون الله لنعبدها كأمثالهم، لكني فقط أقول الله أكبر..."

خمد الجسد على السرير الأبيض، أرفعوا جهاز التنفس فقد توقف القلب...

رجوع للفهرس

على طريق الرمال الذهبية

على طريق الرمال الذهبية انغرزت أخفها وهي تسير الهوينى..وهي تذوب في الصدى شيء ما جعلها تغيب وراء الشفق الأحمر، والقافلة غابت بالغمام الأبيض، تمازج صفير الريح العاتية بضحكات غائمة..

العاصفة..إنها العاصفة..صوت الشيخ يعزف لحن الهروب، ولكن إلى أين؟؟

الغبار يتصاعد عنوة من ثورة الريح اللعينة عليهم..

"سحقا احتموا تحت الجمال.." صوته غاب مع الرمال التي انسكبت فوق جسده دفنته إلى حيث لم تبن سوى عيناه ذات الأشفار المتساقطة، نسي كل ما فيه وتذكرها وهم يرونها تذوب في الغبار وقد رقصت رقصتها على نعش الحياة وطوتها الرمال الذهبية إلى حيث لا يمكن حتى للنسيان أن يطالها..

..سلمى..سلمى..وي كأن الريح وهبتها ستارا قد غاب وراء ما لا يمكن جمعه!..

ساعة واحدة كافية لتخفي أثرهم تحت غطاء الرمال الذهبية.. دفنوا بالتراب و ذاب الشفق الأحمر في السواد، وباتوا من الماضي لتسود سطورهم ذاكرة البشر ..

وساد السكون ..

لم يكن بمقدورهم أن يزيحوا ما أحكم نسجه فوقهم..فرج من السماء ينتظره الأموات..حبات متلألئة عبرت السكون، لتتراقص فوق الثغر المبتسم وانسحب القمر ململما شرائطه الفضية ومضى..

"ياسر إلى أين تنظر..؟"

النيران تلتقط خيالاتهم الهاربة في بهيم الليل، كل ما فيه يحكي الأسرار..ولكن سر نجاتهم كان غريبا، لم يعرفه أحد..

"لم يكونوا أحياء، أقسم لكم أنهم قد بعثوا من جديد..يقولون أن دموعا قد انهمرت عليهم وهم في طرق العودة.."

ومن أتى في القافلة من حيث غاب القوم ومن جاء معه :"يقسمون أنهم قد رأوا طيفا تحت ضوء القمر، كان لفتاة حسناء لا بد أن تكون سلمى، تلك التي ابتلعتها الرمال قبل أن يدفن قومها..." وياسر قد عرف طريق القوافل التي مرت تترا لسنوات من ذاك الطريق، يجعلون وشاحا أحمر على عصا احكموا تثبيتها في الرمال الذهبية عرفانا منهم لإنقاذهم، أقسموا أنها تبكي ليلة اكتمال القمر في ذات الميعاد عندما يغني الزهر والطلع..لتغفر لها السماء فراقهم.."

"لا تمدن أحلامك ياسر، فهي عشيقة ملك الرمال الذهبية، إنّا نراك من الحمقى إذ ترمي بنفسك إلى حيث تسقط أنفاس الحياة.."

ولكنه كان متعلقا بسرابيل الأحلام حيث تمتد أحلامه لتلامس سدفات السماء فوق تلك البقعة حيث تبكي كل ليلة ..

لما أحببتها لما تراودني عن نفسي في اليقظة وفي السبات؟؟

عندما كان الفجر يغمس أنفاسه في الليل المنصرم، كان هو يلملم بقاياه المبعثرة في ذكريات المكان، أطفئ ما تبقى من شعلته هنا ومضى إلى حيث الهناك..

شعر بها حوله ، استيقظ فيه كل شيء، كل ما ظن أنه ليس له، بل هو هبة السماء، ومضى إلى حيث بدأت الرمال الذهبية تكشف خباياه له وحده وتصعدت رائحة البخور وصدح المكان بموسيقاه والغناء..

لما عليه أن يتعثر؟ لا إنه حلمه هو ..سلمى ولا غير..

دس جسده وذاب..

"لقد كان محبا مخلصا ..نعم، فهو يرافقنا وسلمى في طريق الرمال الذهبية.." رجوع للفهرس

فوضى الحواس

انزلق وجه النهار على عجل خلف الخناجر السوداء، وقد نزف قرص الشمس وتأبن في ستار الليل، حين امتد سريعا ليسرق الظلال..

سار موكب الجان مشيعا الوجوم وقد قشر الرؤى تلك القناديل المتدلية من صفحة السماء، لتحدق بالأخيلة الذائبة في غيمة الرمال..

تبكي بصمت والريح تعزف فزعة لحن الوداع...

حين اكتهلت مرآة القمر بيتا عتيقا وقد غشيه خيش سميك..

حينما سيق قرص الشمس إلى مقابر قد ارتحل ساكنوها...

ولكن تلك الأرواح المغلّقة عليها القوارير النحاسية بإحكام من رفضت أن ترقد بسلام ..

كان شرطها أن تنام بسلام..

دون أن تبلل أذهانها بلعاب الشهوات..

فقط أن ترقد بدفء في القوارير المملوءة بماء الحياة المقطوفة من قرص الشمس..

ولكنها لم تنم لم ترقد بسلام ..

أخذ ماؤها يتجمد وازكمتها رائحة الجيف ..

وما وراء الجدران المتشققة يتنزه عن الفطرة، ينغرس كأسافين في الوحل..

ربما نسوا وربما نسيت شيء ما قد أنساها؟؟

ربما ماؤها المتجمد حولها أو ما أصاخت لسمعه من قرع للطبول أو ذلك النور الذي خبا ساعة النهار؟؟

وقد ماتت عقارب الزمن مشحونة بفوضى الحواس..

حين يموت ناموس الوجود..ينتهي كل شيء..

أما هو فقد أُقعي وكلبه تعبين يتصفد جبينهما عرقا في النهار، الذي تنوس عينه فلا يبصران المدى..

وكأنهما على قمة بركان كور نفسه على صاحبه، يمسد فراءه وقد أضجره الأنين خاو الجسد وقد فنيت المآكل وعروشها..

ما عادا يستشعران الشبع كذي قبل في الأحلام المتهادنة مع الصبر، ما عاد ذاك الثوب من نسيج الصبر يتسرب إلى ذلك الخواء وقد تصدع من رذاذ صقيع صيفهما..

ما عاد يدفئ الأوصال العارية تلك الأعجاز المتهاوية..

ما اخترم نفسيهما واقسما أنها الحقيقة.. تلك العارية التي يملئ نورها الليل، ويقسم أخرى أنه قد رآها متلحفة بردائها الأبيض..

وأخرى وقد امتطت فرسا مجنحا يرتقي وإياها أدراج السماء إلى ما تكاد أعناقهما تصبوان لدلوكه.. حتى تئن فترجع صدى إلى حيث يجثوان في المغارة الملتصقة بتلك الخناجر..

حيث لا تصل أجفانهما الهرمة إلى الأفق، وقد دغدغت الخيوط أهابها الغض أمام هيبة النور ضجت الضلوع بالحنين، لقد استطاع أن يصطاد القليل من الرذاذ الذهبي ويرقده تحت حفنة من التراب، لتتعامد أنواره هازئة من ألوان الكون الباهتة، كشجرة قد تساقطت قصصها المليئة بالأحلام..

لعله الهذيان الذي يحرق جذوره الموؤدة بقيعان ضحلة.. ما يجعله يشتهي الرغبة ثانية؟؟

أشفقته كانت على كلبه المقعي مجوفا كغصن يابس؟؟ فأين هي المؤن وأين هي الطرائد؟

لقد فرغت حقيبة زمانه فما عادت تخبئ في جوفها غيره العدم..وتلك القرية قطعت بزمجرتها كل الفرائض..

أيشاطر الشيطان أم يلتمس من جديد لقيمة من موائد اللئام؟؟

تكور على ذكرياته، قرصات عويل النهار والليل سواء، وذاته صوت السوط ينهب جسده ينز عن دماءه التي تقطر ساخنة ، تُرجع إليه الرجفة مبتورة فلا وقت للآهات والسوط يمزقه..

أي أيام ترجعه أعجف ثانية غير كلها؟.. فقد دعكت قدماه ببئر الظلم..

أيان تراه ميعاد شربهم.. نجاستهم.. لا يكاد يجزم فالقرية رجز على رجز، فقد عاقرته وزنت وإياه واستحالت الفجور فضائل.. إنها الساعة ينزلق جسده في فوضى للحواس، هذي التي استشرت كالجذام.. كمنابت الشر.. يذكر يوم هرب كوميض يجعله متكورا على نفسه، متقلصا ليبتلعه خوفه.. وذاك الوفي يتلو خطاه الواسعة لا يضيع له أثرا كظله بدا..

أتراه يحتمي بمن لا أنياب له ولا مخالب؟ من منا منحته الطبيعة قوى أكثر إيلاما وضراوة ؟؟ يستجدي عطفا ببضع لقيمات.. هو لا يدري كيف نبتت الصداقة بينهما كبذرة انفلقت وشقت الأرض الصلدة!!

كان يحرسه في كوخه الحقير على أعتاب الحدائق الغناء لقصر اللئيم ذي الكرش..

أي معاهدة وثقت بينهما من غير شهود ليتقاسما أن يكونا على الحلوة والمرة؟؟ وما ذاق إلا أقساها، ذاك السوط الأسود لا يخطئه ولا يخطئ أذنيه وهو يتم العد لخمسة، لينهال عليه مقشرا جلده الرقيق..الجلدة تلو الجلدة تهوي تهوي بهذيان، وصوت ذاك الخف الرنان وقد تعلقت قطع الذهب على جنبيه يتضاحك.. أيسعدك أن تحترق أمامي كما الأمس..؟ فليلتهب جسدي بركانا وما أقاسيه بعد؟! وما بالها عيني تقطر بملوحة لاذعة تستفز تلك الأنفاق في جسدي الشمعي.. وكأنه السوط ذاته يفجر فيّ صمتي..

وتلك الأكياس المملوءة بالجواهر تتفاخر أمام كيسي العتيق.. أي شرخ بين الكبر والكبرياء بين الكره والحب؟؟ نطف نزعت منها الرحمة!؟ أم تعمدت بماء غيره ماء الطمأنينة ..

أن ترحم النفس النفس.. ذاك الشعور الذي تتشارك فيه كائنات الأرض على حد سواء أم تراها قد تبللت بأمواه قذرة واستحال طينها لزجا قميئا؟؟ حبلى تلك القرية بالشقاء ما عساه أن يفعل وكؤوسهم ملأى بالحبر الأحمر.. سكارى هم..

ها قد شخت يا قرية البؤس وقد آتت أرضك أكلها.. لما قلبه ينبض إذا حرقة؟؟ أهي تلك الكلمات الخمرة ما جعلته لا يراوح التفكير إلا في سبل العودة ؟؟

"أن الأرواح قد جعلت في قوارير نحاسية... تلك الأرواح موصدة عليها الأبواب وها نحن نتصدر السنين، لقد ملوا من تعاليمها ومن النبوءات.. ما يردونه بسيط المال والجواري والشراب المزيد من المجون.. لا شيء سوى هذا أبه كفر؟؟!

وتنطلق الضحكات كأفاع تلتهم ما تبقى من أنفاس وصوت من هناك يحاجج .."خرافات الأرواح.. ما بالهم والتعاليم وتراسيمها؟؟ والآلهة الطيبة لا تبني القصور.."

لقد تقاسموا إلا يضيعوا قولا أو فعلا وإن فعلوا فعليهم فلتتساقط الحجارة من السماء، ثم هاهم يتصيدون لهو الحياة، فقط تلك الروح العفنة، التي فرت لكنها فرت بلا رذاذ بلا ملحها الذي يمنحها القوة، فما تستطيع أن تكيل لهم بالصاع..

عندما مد بصره فوق أسياده خرَّ قلبه صريعا بين قدميه.. أعين القوم بدت بلا روح زجاجية وحسب وأيديهم متصلبة وتلك الأجساد يسمع لها الخوار.. وما جريرة البلاء إلا ابتلاء وقدره أن يهرول

على أربع، إلى حيث يعيش دون عبودية دون رجس، أن يقتات كسرة الحياة والموت سواء..

تلك القمصان الملتصقة بجسده قد نزعها وما بها من محن مائعة فما له من صوامع ولا معابد يتبتل فيها في مهج غادرة مشحونة بأرياح عتيقة.. خربة تلك الديار..

ترهل كتفاه وانحنى رأسه من زحم أفكاره والمغارة مشرعة أبوابها للسحب الركام، إذا هي النهاية فلرحمة الله أترانا نصير؟؟

عندما اندلعت النيران في الأرواح وقد تجمد ماؤها، غادرت سجنها وباتت حرة اليوم فلا قضبان..هالها ما رأت فكان أجزل مما قد تصيخه سمعا.. أهكذا يكون العهد القديم والتعاليم والكتاب؟؟ فليحل العذاب والموت بهؤلاء لكل من داست قدماه هذي الرمال، فليحل الموت على من تهب عليه رائحته..

شيء ما جعله يرقد بسلام يغفو محتضنا كلبه وعلى محياه ابتسامة، شيء ما دخل جوفه الصائم وبل ريقه بدفء.. بلذة تثير الحواس تجعله يهيم في الأحلام المكتظة بالألوان.. إنه يكاد يقسم أنه ضمها إليه.. بل توغل نورها إلى جسده.. كان هذا ما تراءى

إليه عندما استيقظ بعد حين على غير تلك الفوضى التي كانت فوضى للحواس ..

رجوع للفهرس

اعتلت وجوههم غيمة من الصمت وقد تدلت الأنابيب المتعلقة بأنفاسها، النبض في نزره الأخير و رعشات القلب موج ساده الصمت، وهي ممدة على السرير الأبيض كتلة متفحمة لا يرجى لها من بعد الفناء البقاء، تمعنت في صمتهم الميت وغابت في حجرة قلبها المنكسر، شريط الواقع أيقظته بنداءاتها المعتقة بالآهات والصرخات، زفرات تُصَّعِدُ غضبها وقد تشابك وطيات نفسها ولفائف الأحزان..

المؤلف